المسيح قام حقاً قام

رسالة الفصح لسنة ٢٠٠٣

نص رسالة الفصح التي وجهها غبطة البطريرك صفير من بكركي، تحت عنوان "بعد ثلاثة ايام اقوم" (متى ٢٧: ٦٣):

أيها الأخوة والابناء الاعزّاء،

هذا ما نقله عظماء الكهنة والفريسيون عن يسوع المسيح، عندما اجتمعوا لدى الوالي الروماني بيلاطوس. وكانوا قد نفّذوا حكمهم عليه بالموت صلبا، ودفنوه، لكنهم خافوا من ان يروه قد قام. اجل خافوا من رجل اماتوه ودفنوه. ويقول الانجيلي يوحنا: "وفي الغد الذي يلي الجمعة، اجتمع عظماء الكهنة والفريسيون لدى بيلاطوس، وقالوا له: "يا مولانا، قد تذكّرنا ان ذاك المضلّ كان يقول، وهو حيّ: "بعد ثلاثة ايام أقوم". فمر ان يُحرس القبر الى اليوم الثالث، لئلاً يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب: "إنه قام من بين الاموات. فتكون الضلالة الاخيرة شرّاً من الاولى". انظروا الى اي حدّ بلغت الغباوة بهؤلاء الناس. وعلى فرض انهم سرقوه، فهم يسرقون ميتاً لا حول له ولا طول. وهل بإمكانهم ان يردوّا له الحياة؟

المسيح مات وقام، وهو حقاً قام بقوته الالهية. وقيامته هي الدليل القاطع على ألوهيته، وعلى انه حقاً ابن الله. "ولو كان لم يقم، لكان ايماننا باطلا"، على ما يقول بولس الرسول. أعجوبة القيامة تساوي، لا بل تفوق جميع العجائب التي أتاها يسوع في حياته على الارض. وهو من اعطى هذه الاعجوبة برهاناً على ألوهيته، عندما قال للذين سألوه: "بأي سلطان تطرد الباعة من الهيكل"؟ فأجابهم: "اهدموا هذا الهيكل، وانا ارفعه في ثلاثة أيام"". ففهموا هيكل الحجر، وعنى هيكل جسده. وهذا ما اوضحه الانجيلي يوحنا. وهذا يعني انه كان له سلطان لتنظيف الهيكل من مدنّسيه، بصفته ابن الله، ولأن الهيكل شُيّد تكريماً له. وما قيامته سوى برهان على صحة كلامه.

وأكد ذلك بوضوح في مناسبة اخرى. وكان قد أتى عجائب عدة أثارت حماسة الجماهير، لكنها أبقت الفريسيين على ما هم فيه من لامبالاة به، او على شكّهم بأمره. فدنوا منه يوماً وقالوا له: "يا معلّم، نريد منك آية". فأجابهم بحزم: "الجيل الشرير الفاجر يطلب آية، فلا يعطى إلاّ آية يونان النبيّ. فكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك يكون ابن الانسان، في جوف الارض، ثلاثة ايام وثلاث ليال". أما التلاميذ فلم يفهموا شيئاً مما قال". ولكن الفريسيين تذكروا قوله، وفهموا ما تنبّأ به عن نفسه، فسألوا بيلاطوس ان يرسل من يحرس القبر.

وكانت النبوءة واضحة. لقد اعطى المسيح قيامته الجسدية، وعودته الى الحياة، بعد موته بثلاثة أيام، برهاناً على مسيحانيته وألوهيته. وهو برهان لا يُدحض. واعطى هذا البرهان ممثلي الشريعة، الذين كان من واجبهم ومن حقهم ان يعترفوا به المسيح الموعود. وما من احد في امكانه ان يشكّ في ان قيامة ميت هي اعجوبة، اي انها عمل لا يمكن ان يقوم به إلا الله. واذا كان يسوع المسيح قد قام، فان الله قد اثبت انه ابنه. وإلاّ فيكون قد اسقط القناع عنه. فأي من هذين الافتراضين صحيح. هل قام يسوع بالجسد الذي كان يلبسه من قبل، ام انه لم يقم؟ وهذه مسألة تاريخية، لا يرقى اليها الشكّ.

وهناك سبب آخر يضفي على اعجوبة القيامة قيمة خاصة. وهي انه، يوم العنصرة، التي جرت بعد خمسين يوماً على موت يسوع، بدأ التلاميذ يبشّرون في الساحات العامة، ويعطون القيامة برهاناً على الوهية المسيح.

ويسوع هذا الذي أعلن انه هو المسيح، وابن الله، والذي حكم عليه الفريسيون والكتبة بالموت كضالّ ومجدّف، اقامه الله. ولا يمكن الله ان يولي صدقيته ضالاً ومجدّفاً بصنعه مثل هذه الاعجوبة الكبيرة. ومنذ ذلك الحين راح الرسل يبشّرون بيسوع المسيح القائم من الموت، وعلى رأسهم بطرس الذي وقف يوماً في أورشليم يخطب في الناس ويقول: "يا بني اسرائيل، اسمعوا هذا الكلام: كان يسوع الناصري رجلاً أيّده الله بينكم، بما اجرى على يده من العجائب والمعجزات والآيات، كما أنتم تعرفون. وحين أسلم اليكم، بمشيئة الله المحتومة، وعلمه السابق، صلبتموه وقتلتموه بأيدي الكافرين. ولكن الله اقامه وحطّم قيود الموت، فالموت لا يمكن ان يبقيه في قبضته".

ومنذ ذلك الحين انتشر خبر القيامة في فلسطين وروما حتى أقاصي الارض. وكان الانجيل، والمسيح القائم من الموت، موضوع تبشير الرسل وخلفائهم. والايمان هو التسليم بهذا الامر الاساسي. والمسيحي هو من سلّم بقيامة المسيح. وهذا ما يظهر لنا أهمية اعجوبة القيامة.

أيها الاخوة والابناء الاعزاء،

قيامة المسيح هي الحجر الاساس في صرح الايمان المسيحي. والايمان بالله وبابنه يسوع المسيح، هو ما يولي المؤمن الطمأنينة، ولو كان في قلب العاصفة. ونحن في هذه الايام في أمس الحاجة الى توطيد الايمان بالله في نفوسنا اكثر من اي وقت مضى. وما ومَن يطمئننا الى مصيرنا، لا بل مصير البشرية، غير الله الذي نعرفه بالايمان؟ يقول يوحنا الانجيلي: "ما من احد رأى الله. الاله الاوحد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه". اي ابنه يسوع المسيح. وان ما حدث في منطقتنا من حرب مدمرة في العراق، وما لا يزال يحدث كل يوم في فلسطين من معارك دامية يظهر الى اي مدى يذهب بالانسان ما يستسلم له من حقد وبغضاء وكراهية لاخيه الانسان. ومن لا يشعر بالأسى العميق لدى مشاهدته مظاهر القتل والتهجير والتدمير التي توقعها الاسلحة الفتاكة بالناس الذين خلقهم الله لينعموا في دنياهم بالعيش الكريم، والطمأنينة، والسلام. ومن لا يتألّم عندما يرى على الشاشة الصغيرة اولاداً او شباناً قطعت القنابل المحرقة بعض اعضائهم، فيُحكم عليهم بأن يعيشوا معاقين طوال ايامهم، وهم ناقمون على مجتمعهم، الذي لم يعرف كيف يوّفر لهم العيش الهانئ. ومَن مِن الناس لم يقتنع بعد بأن العنف لا يولّد إلاّ العنف، والحرب لا تجرّ إلاّ الى الحرب. والمغلوب على امره، لا يزال يجترّ الثأر حتى تتأتّى له فرصة الانتقام. وهكذا يقع هو وخصمه، فردا كان، او جماعة، او بلداً، في دوامة من العنف المضادّ لا تنتهي. والتاريخ خير شاهد على ذلك. ومعلوم ان العنف يغتذي بالظلم والجهل، وليس بالدين.

وما القول عما يخطط لهذه المنطقة من مشاريع يجب ان نكون على يقظة دائمة منها؟ وهي توجب علينا ان نوحد صفوفنا، ونجمع قلوبنا على ما فيه خير وطننا، وان نكفّ عن السعي فرادى كل الى مصلحته الضيقة، فيما مصلحة الوطن وابنائه مغيبة. وكلنا مبحرون في مركب واحد، اذا غرق غرقنا جميعاً، واذا بلغ شاطئ الامان بلغناه جميعاً. ولن نبلغه إلاّ اذا كنا نعمل معاً في سبيل إعلاء شأن السلام، وقوامه اربعة وردت في رسالة البابا يوحنا الثالث والعشرين، "السلام على الارض"، التي تحتفل الكنيسة بمرور اربعين عاماً على صدورها. وهي: "الحقيقة، والحرية، والعدالة، والمحبة". وبدونها لا سلام. والله وحده هو ينبوع كل سلام، يمنحنا إياه، شرط ان نخرج من حياة الصخب والضجيج، لنصغي اليه في هدأة الصلاة وصمت الخشوع على ما يقول احد الشعراء: "اجلس على حافة الفجر، تطلع عليك الشمس. اجلس على حافة الليل تلتمع لك النجوم. اجلس على حافة النهر يغنّ لك البلبل. اجلس على حافة الصمت، يكلّمك الله".

وإنا، إذ نهنئكم جميعاً، مقيمين ومغتربين، بهذا العيد، نصلّي معكم من اجل هذا السلام الذي نسأل الله ان يحله في بلدنا ومنطقتنا والعالم، وان يشملكم برضاه وبركاته".

٢٠٠٣/٤/٢٠